OPEN ACCESS
Journal of Arabic Research (AIOU)
jar.aiou.edu.pk
iri.aiou.edu.pk

أصول فن الملحمة وضوابطها(دراسة وصفية)

Origins and Controls of Epic Art (A Desprective Study)

❁ **د-حافظ محمد اكرم الازهرى**

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الإسلامية بهاولبور

❁❁ **د۔ صباحت أفضل**

أستاذة مساعدة، معهد الدراسات الإسلامية، جامعة بنجاب، لاهور

ABSTRACT

An epic is an extensive poem that has been composed in an elevated style, that treats a pivotal epoch in the past of a particular people, and that endures because it both entertains its audiences and educates them on issues of ultimate importance. The word epic is derived from the Ancient Greek adjective, "epic's", which means a poetic story. In literature, an epic is a long narrative poem, which is usually related to heroic deeds of a person of an unusual courage and unparalleled bravery. A modern-day epic is any long film or book that tells the story of a hero who has superhuman qualities and experiences supernatural adventures over a long period of time and space

Key words: Epic , Noble Birth. Capable of deeds of great strength and courage, National Heroism, Humility, Tragic Hero.

تحديد مفهوم الملحمة

المعنى اللغوى: الواقعة العظيمة، والحرب ذات القتل الشديد، وموضع القتال والجمع ملاحم مأخوذ من اشتباک الناس واختلاطهم فيها، وقيل هومن اللحم لكثرة لحوم القتلى ويقال: لاحمتُ الشيء بالشيء: اذا الصفة به-وقد اجتمعت هذه المعانى للغوية كلها فيما عرفه العرب منذالقديم عن مفهوم الملحمة حيث يلتحم المقاتلون فى مواضع القتال وتختلط لحوم قتلا هم وكان العرب يعدون أنفسهم فى (الملحمة) بمجرد تجمعهم للحرب(1)

ويشير الىٰ هذا ما ذكره البخارى فى حديث طويل يوم فتح مكة عند ما قال أحد الصحابة من الأنصار وهو سعد بن عبادة وكان يحمل رأية الجيش : أليوم يوم الملحمة ، ففزع لذلک أبو سفيان وقال للنبى صلى الله عليه وسلم : أمرت بقتل قومک ؟ قال عليه الصلاة والسلام: لا، فذكر له ما قاله الأنصارى ، ثم ناشده الله والرحم فقال النبى صلى الله عليه وسلم: يا أبا سفيان أليوم يوم المرحمة، اليوم يعزالله قريشاً، وأرسل الىٰ سعد فأخذ رأية منه فدفعها إلى ابنه قيس ، و قد ظل مفهوم الملحمة فى العربية مرتبطاً بمعارک القتال، وكان ذكر الملاحم يعنى الحروب الطاحنة التى يختلط بين رحاها أ جساد المقاتلين- (2) وقد استخدم هذه اللفظة

أيضاً بمعنى الفتنة التى تقتضىٰ الى الحروب ومن ذلک حديث الرسولﷺ عمران بيت المقدس خراب يثرب خراب يثرب خروج الملحمة فتح القسطنطنية،وفى حديث آخر رواه إمام أبو عيسى الترمذى قال : محمد بن الطريفة الخزاعى أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشى عن أبى وائل بن خزيمة قال: لقيت رسول الله ﷺ فقال: أنا محمد ﷺ وأنا نبى الرحمة ﷺ و نبى التوبة و أنا المقتضى و أنا الحاشر ﷺ و نبى الملاحم(3)

وقد وردت ''الملحمة ' و مشتقاتها فى الشعر العربى كثيراً و من ذلک قول الأخطل(4) :

حتى يكون لهم بالطفِّ ملحمة و بالثوية لم ينبص بها وتر

واستخدم القطامى هذه الكلمة فى بيت قائلا:

و لم يستخبر العلماء عنا ومن شهد الملاحم والوقاعا

وكذلک أكده أبوتمام عن لسان امرأة من بنى الحارث وقال(5):

فارس ما غادره ملحماً غيّر زحيل ولد نكس

تناول شعرآء العرب فى اشعارهم مدلول هذه الكلمة كما ذكرنا أما فى الاصطلاح وهو نص أدبى له أوصافه المحدودة، فقد عرفوه بأنه نوع خاص من الشعر القصصى البطولى من الأدب القديم لكن لم تعرفه اللغة العربية شبيهاً له من حيث البناء القصصى المكتمل، ومن حيث الشخصيات التى تسمو فوق المستوى العادى للناس الأسوياء ، و تتصف بما هو من سمات الأبطال الأسطوريين ، و من سمات الآلهة أو انصاف الآلهة فى المعتقدات الوثنية البدائية ، و من حيث الأحداث و الوقائع الخارقة التى تتخللها ، و من حيث الوقائع الحربية التى يخو ضها الأبطال الملحميون فى غمارها و المآثر الخارقة التى يحققونها ، و التى تدخل فى صميم الصراع الوطنى والقومى دفاعاً عن حق مغتصب أ و فى سبيل أن تحيا الأمة التى يمثلونها بحرية و كرامة وهناء رخا ء(6)۔

و قال الآخرون أن الملحمة هى قصيدة طويلة ، تسرد فيها حوادث بطولية ، و تحكى عن قصص تاريخية و حماسية أسطورية و تنسجها اعتماداً على الخيال ، و يتشاحن فيها الأبطال فى حروب ساخنة ومعارک هالكه و أبطالهم من آلهة أو من بشر يتمتعون بصفات خارقة للعادة -

ان الملحمة بمفهومها الحربى أحد الأجناس الأدبية التى عنى بها الباحثون فى الدراسات الأدبية فى العصر الحديث و بخاصة فى دراسة الآداب المقارن و تحدث صاحب كتاب المنجد لويس اليسوعى عن السبب فى تسمية الموقعة القتالية بالملحمة فيقول وذلک مأخوذ من اشتباک الناس واختلاطهم فيها ، ثم يرتبط هذه التسمية بتصوير هذه الوقائع الحربية والتعبير فى أعمال أدبية- ويضيف قائلا ان كناية عن عمل شعرى طويل يتألف من أناشيد عديدة نظمت فى وصف حرب من الحروب، ووصف جيوشها وأبطالها

والأمكنة التى دارت فيها، وتشترك الآلهة فى وقائعها وتقوم على الأساطير والخرافات كالألياذة هو ميروس وما شاكلها القصائد والمطولات (7).

وقد اهتم الدكتور محمد غنيمى هلال أحد بالدراسات الأدبية المقارنة اهتماما كبيرا فى عالم العرب انه يذكر فى معرض حديثه عن الأجناس الأدبية، و يُعد فن الملحمة انها أولىٰ صنف من الأجناس الأدبيه فيقول: أن الملحمة هى جنس أدبى وفيها يتناول الشاعر قصة بطولة تحكى منظوما ، وتحتوى على أفعال عجيبة، أى على حوادث خارقة للعادة، وفيها يتجاور الوصف مع الحوار وصور الشخصيات والخطب، وان كانت الحكاية هى العنصر الذى يسيطر على باقى العناصر الأخرىٰ-(8)

وعند الادباء والمقارنين للملحمة أصول وضوابط تاريخية من أبطالها وحوادثها ولكن اختلط هذه الضوبط بالأساطير والخرافات فى تلك العهود التى لم تقم فيها حدود فاصلة بين الحقائق و الخيالات و الأساطير و الخرافة وغيرهم وقد اشار الدكتور هلال إلى أن أهم الملاحم فى الأدب اليونانى القديم وهى الالياذة لهو ميروس يتناول فيها هوميروس وقائها وأحدا ثها حول حصار طراودة، لكن ابطالها غير واضحة فهم خليط بين البشر ولآلهة كذلك أنه يذكر من الملاحم الرومانية الإنيادة لشاعراللاتينى فرجيل وهى ملحمة و طنية غايتها الاشادة بالأصل الإمبراطورية الرومانية وقدكتب موسوعه ويكيبيديا تعريف الملحمة فيما يلى:

An epic poem is a long poem narrating the heroic exploits of an individual in a way central to the beliefs and culture of his society .Typical elements are fabulous adventures, superhuman deeds,polyphonic composition, majestic language and a craftsmanship deploying the full range of literary devices, from lyrical to dramatic, Nonetheless, the first epics -lilied, Odyssey, Mahabharata,Ramayana _ were created and transmitted orally, a traction still seen in Serbian gulags and storytellers throughout Asia (9)

فكل قصيدة تقص قصة يكون الغرض الظاهر منها حكاية، هذه القصة تسمى شعراً قصصياً، فاذا كانت القصيدة أو القصائد القصصية تناول الرجال المشهورين والأعمال المشهورة فى التاريخ فتلك انها ملحمة،أما الشاعر القصصى قد يطوف بحياته حادث من الحوادث تنفعل به نفسه، وتتجاوب له مشاعره، ويهتز احساسه فيعمد الىٰ تصوير هذه الحادث كما تمثل لديه فى قصة،نسج خيوطها ويرسم ألوانها ويطرز حوايشها(10)- الشعر الملحمى بطبيعة شعر جماعى، يصور عادات الشعوب ومعتقداتها وأسطيرها وآلهتها و سجل حياتها مما حفز الىٰ حفظه وروايته وتناقلته كمرأة الماضى للشعوب التى تعى ما فيها، وتحرص عليه وتعتز

به فى مواجهة الشعر'' وفى الملاحم، يتغنى الشعب بأماله ومثله العليا، عرضا لعقائده ونزعاته(11)- وقال سى -ايم باورى :

''An epic is a Narrative of some length and deals with events having a certain grandeur and importance and come from life'' (12) This Action should have three qualifications in its. First it should be one action, Secondly, it's should be an entire action, and thirdly, it's should be a great action. (13)

وانقسم بعض النقاد فن الملحمة الى نوعين و ظهرت هذه الانواع أحدهما بعد الآخر وهما فيما يلى:

النوع الأول :وهو الملحمة التاريخية ''كملحمة الإلياذة لهو ميروس'' وفيها نجد عنصر الأسطورة والتاريخ الواقعى أيضا - و قدتضمنت الإلياذة على بعض الحقائق التاريخية وصورة عادات الإغريق و نظام الحرب والحكم و الزواج و العبادات و الأمور أخرى - و كل هذا يعّده النقاد فى ما نصوص الملحمة التاريخية و سبب خلودها بطبيعة الحال يرجع الىٰ ما فيها من فن و جمال و من خصائص الملحمة القديمة أنها قد ألفت لتنشيد و إثارة الحواس و تنشيط الشعب ولذلک كان الشاعر و المؤلف يبذل جهده فى قوى الخيال و زكى الذهن والخواطر -

النوع الثانى : فهو ما يسمى '' الملحمة الأدبية '' وتتميز بأنها لا يرتبط بالتاريخ وأن مؤلفها لا يستفيد من كتابات سابقيه كما فى الالياذة مثلاً ولكنه يكتبها تحت سيطرة فكرة خاصة به، ولذلک كان عنصر الفكرةأساسياً فى الملحمة الأدبية واذا كانت الملحمة القديمة ألفت لتنشيد فان الملحمة الأدبية إنها قد ألفت لتقرأ فالتأثير فيها صادرة عن الفكرة وطريقة عرضها و بأسلوبها الجميل - ويرى الدكتور إ سحاق حسين (14)أن للملحمة خصائص و عناصر و بعضهم فيما يلى :

أ : هى منظومة شعرية طويلة -

ب: هى شعر قصصى لا تمثيلى ولا غنائى

ج : تتناول فيها وقائع تاريخية أو أسطورية ذات شأن قيم

د : تعالج فيها شؤن أمة وتدور حول البطولة -

ويذهب أحد الباحثين(15) الى أن الملحمة عبارة عن شعر قصصى بطولى وقومى يحتوى علىٰ أحداث خارقة للمعتاد -والملحمة باعتبارها شعراً تكّون أثراً من آثار الخيال القوى الذى يستطيع أن يبعث عالماً متحركاً لا يحد فى تنوعها فقط ولها نوعان مشهوران وهما : ١ - الطبعية ٢ - التقليدية

ونقطة البدء فى الملحمة الأولىٰ حادث تاريخى حقيقى أو حادث يظنه الناس تاريخياً و مثالها ذلک حصار طروادة ويمكن القول أن بعض الملاحم كمثل أ وديسا التى لا تعالج فيها حادثاً تاريخياً أو شبيباً به وإنما تعالج

فيها حدثاً أو مجموعة من الحوادث التى يغلب عليا الطابع الحربى، والشعوب فى مستهل أمرها لم تكن فى الواقع الحقيقى سوى شعوب حربية فحياتها قائمة على القتال و الجدال وهذا القتال إما دفاعاً عن النفس وإ ما رغبة فى اتساع رقعة السلطه أو اخضاع الشعب للحكم وكان رجال الغزو يتمتعون بشهرة فائقة أكثر من شهرة رجال الثقافة والحضارة - أما الملحمة التقليدية فليست الا صورة للملحمة الطبيعة إذ أنها تكّون على عدة النقاط وهم فيمايلى: (16)

أولاً ـ تستعيرمنا الاطار أو الهيكل ثم الوسائل أوالعناصر الضرورية للتأليف كأن يكون الموضوع قومياً و أن يحتوى على معارک و أحلام و نزول الى الجحيم و أن يكون هناک موضوع للعجب والملاحم أو الإشتباک -

ثانياً ـلم تعد الملحمة كما كانت من قبل موضوعاً يشترک فى تأليفها جميع أفراد الشعب ويساهم فى صياغتها كل الشعراء الذين ينتمون الى مدرسة واحدة بل أصبحت أثراً مستقلاً يسودها طابع التفكير العميق وينظمها الشاعر بمفرده

ثالثاً ـ ان ما كان يعتبر فى الملحمة الطبيعة إلهاماً أصبح فى الملحمة التقليدية طريقة متبعة وخطة مرسومة-فاستعمال موضوع العجب على الخصوص بعد أن كان تعبراً عن العقيدة البسيطة الساذجة فقد أصبح فى أغلب الأحيان مظهراً من مظاهر الصنعة وأداة من أدوات العمل وزخرفاً من أنواع الزينة -

رابعاً ـ كانت الملحمة الطبيعة حين تقص مصحوبة بأنغام موسيقية كنغم القيثارة أما فيما يختص بالملحمة التقليدية فلم يعد من شأنها أن تصطحب بأنغام موسيقية ذلک لأنها لا اشتهى فيها للمستمع و القراء معا- وأخيراً نجد كثيراً من الأمور التى لا تعتمد على سند صحيح من التاريخ للملحمة الطبيعية و هو على العكس من ذلک تماماً عن الملحمة التقليدية -

والجدير بالذكر فى أوائل القرن التاسع عشر حاول شعراء فرنسا المتمسكون بالقديم أن أحياء الملحمة التقليدية مستعينا فى ذلک بالاكثار من تصوير العفاريت وظهور الخيالات من الملائكة والقديسين والأموات وغيرهم- ولكن شعراء الرومانطيقين اختلفوا عن هذا الصدد و أنهم كانوا يرون أن ملاحم البطولة الطويله على المقاييس القديمة لم تعبر تلائم أمزجة الناس فى هذا عصرنا الحاضر ولذاعلينا ان نجددا عناصر الملحمة و خصائصها لتكون على أمزجة الناس و حاجة الشعب ولمجتمع كما كانت فى العصر القديم و إ ذا أمعن النظر على الآدا ب العالم أ ن هذا الصنف الشعرى والنثرى موجودة فى أشكالها والوانها مختلفة و أنها مجموعة متتابعة من القصائد القصيرة المنفصلة ولا يوجد فيما بينهم الربط و نجد بين هذه القصائد فكرة عامة وليس فيها التطور أو التقدم كما كا نت فى الملاحم القدما ء على حد قول الادباء والمقارنين -لكن انهم جميع متفق بأن الملحمة إ نتاج أدبى ممتاز وممتع لكن أصو لها وضوابطها مختلف على حسب مرور العصور-

الهوامش

1: لسان العرب : ا بن منظور، دارالمعارف مصر - جلد ٢١ص٤٥

2: فتح البارى شرح صحيح البخارى: الإمام العسقلانى، دارالمعرفه بيروت- جلد ٥ص

3: تاج اللغة وصحاح العربية: للجوهرى ،دارالفكر بيروت- ص ٢٠٢-ص٥٠

4: ديوان الأخطل: الأخطل، دارالمعارف مصر

5: ديوان أبى تمام : لأبى تمام، مكتبه النهضة قاهرة مصر- ص١:المعجم المفصل فى اللغة والأدب جلد ٢، ص ٢٥٥:

6:معجم المعانى : شرح كلمة لحم على الشبكة نت

7: المنجد:لويس معلوف اليسوعى ،المطبع الكاثوليكية بيروت -ص

8: المنجد:لويس معلوف اليسوعى ، المطبع الكاثوليكية بيروت - ص ٦١٧

9: الأدب المقارن: د ٠غنيمى هلال المطبع الانجلوالمصرية-قاهرة- ص١٣٢

10: تاريخ الأدب المقارن: عبدالمنعم الخفاجى ص ٥١٢

11: www.wikipedia.com

12: المصدر السابق

13: (C.M. Bora. Page: 1-4)

14: الأدب وفنونه : د- عزالدين اسماعيل ص 45

15: المصدر السابق

16: نظرية الأنواع الأدية : حسن عون -مكتبة العلمية بيروت ،ص98